تاريخ الاستلام: 2023/10/15م تاريخ القبول: 2023/10/25 تاريخ النشر: 2023/12/31م

مجلة علمية محكمة نصف سنوية – تصدر عن كلية التربية بجامعة الزاوية
العدد الثامن والعشرون – ديسمبر/ 2023م

التقديم والتأخير في الجملة الاسمية ومتعلقاتها في سور البقرة وآل عمران والنساء (دراسة نحوية دلالية

عبد المعين علي صالح الشاوش
قسم اللغة العربية – كلية التربية أبو عيسى – جامعة الزاوية
الزاوية – ليبيا
Email: Abdel.Moein.Shawish@gmail.com

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى توضيح عارض من عوارض التركيب في الجملة الاسمية ومتعلقاتها ألا وهو عارض التقديم والتأخير ، إذ إنّ التقديم والتأخير لم يكن ليقع في فصيح الكلام من دون ضوابط تضبطه ، وإنما كان لأسرار بلاغية ونكت وأغراض معنوية لم تكن لتؤدى إلا بالوجه الذي رتّب عليه الكلام ، فقدّم في الجملة (الاسمية) ما حقه التأخير ، وأخر ما حقه التقديم ، وأغراض التقديم كثيرة تعرض لذكرها كثيرمن النحاة ، وكذا أشار إليها ثلّة من العلماء ، ومن أشهر من أشار إلى ذلك سيبويه حين قال : (كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهو ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم) سيبويه ، 1 : 34.

ويذكر عبد القاهر الجرجاني أنه لا يكفي القول بأنّ التقديم كان للعناية والاهتمام من غير أن يذكر من أين أتت تلك العناية ، وبم كان أهم ؟ (الجرجاني ، 2005 ، 87)

الكلمات المفتاحية : التقديم ـ التأخير ـ عارض التركيب ـ متعلّقات الجملة الاسمية .

Introduction and delay in the nominal sentence and its attachments in Surahs Al-Baqarah, Al-Imran and Al-Nisa' (a semantic grammatical study

Abdel Moein Ali Saleh Al-Shawish
Department of Arabic Language - Faculty of Education Abu Issa - Zawia University
Azzawia -Libya
EMAIL: Abdel.Moein.Shawish@gmail.com

ABSTRACT

This research aims to clarify one of the symptoms of structure in the nominal sentence and its attachments, which is the symptom of precedence and delay, as precedence and delay would not have occurred in eloquent speech without controls controlling it, but rather would have been for rhetorical secrets, jokes, and moral purposes that would not have been performed except in the manner in which the speech was arranged. In the (nominal) sentence, he put forward what deserves delay, and last what deserves precedence, and the purposes of introduction are many that many grammarians have mentioned, and a group of scholars have also referred to it, and among the most famous of those who referred to this is Sibawayh when he said: (It is as if they are only giving precedence to that which its explanation is more important to them, and that is By His explanation I mean, even though they both concern them and concern them (Sibawayh, 1: 34). Abdul Qaher Al-Jurjani states that it is not enough to say that the introduction was due to care and attention without mentioning where that care came from, and how important it was? (Al-Jurjani, 2005, 87)
Keywords: introduction - delay - syntactic incident - related items of the nominal sentence.

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ، وبعد :

فالتقديم والتأخير في كلام العرب أكثر من أن يحصى حتى إنّ أحمد بن فارس يقول : (من سنن العرب تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخّر ، وتأخيره وهو في المعنى مقدّم) " ابن فارس 1979 ، 412 " وقال الجرجاني في هذا الشأن : (هو باب كثير الفوائد ، جمّ المحاسن ، واسع التصرّف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفترّ لك عن بديعة ، ويفضي

بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أنْ راقك ولطف عندك أنْ قُدِّم فيه شيء ، وحوِّل اللفظ عن مكان إلى مكان) " الجرجاني ، 2005 م ، 85 ـ 86 ".

وما يحسن قوله والإشارة إليه أنّ العرب أهل فصاحة وبلاغة ، والتقديم والتأخير من أساليب البلاغة العربية فأتوا به دلالة على تمكّنهم من ناصية البلاغة والفصاحة ، ونظرا لما لهذا الموضوع من أهمية تبصّر القاريء بما فيه من بلاغة وفصاحة وتقف به على أسباب هذا التقديم والتأخير، وأنه لم يكن عبثا واعتباطا لا سيما أن دراسته جاءت في كتاب معجز بلفظه ومعناه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن هنا رأيت أنْ أخصّ موضوع التقديم والتأخير في القرآن الكريم ببحث أرجو من الله القدير أن ينفع به، فرأيت أن يكون عنوانه (التقديم والتأخير في الجملة الاسمية ومتعلقاتها في سور البقرة وآل عمران والنساء دراسة نحوية دلالية) وكان اعتماد البحث على جملة من المصادر والمراجع لا غنى له عنها ولا يستغني عنها أيّ بحث يتناول مثل هذه الدراسة ،ومن هذه المصادر والمراجع وهو ـ بلا شك ـ عمودها والسلك الناظم فيها ألا وهو القرآن العظيم ، والكشّاف للزمخشري ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، وروح المعاني للألوسي ، وإعراب القرآن وبيانه لمحي الدين الدرويش ، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ،وتفسير القرآن الكريم للشعراوي ، والكتاب لسيبويه ، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، وأسرار البلاغة للأنباري ، ومغني البيب لابن هشام ، وشرح ابن عقيل ، ومعاني النحو لفاضل السامرائي ، وغيرها من المصادر والمراجع ، و رأيت أن يكون المنهج المتبع المناسب للموضوع هو المنهج الوصفي التحليلي ، وكانت خطته على النحو الآتي :

المقدمة : ذكرت فيها عنوان البحث وأهمينه وسبب اختياره وحدوده وأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها ، والمنهج المتبع فيه ، وكذا عرضت فيها تقسيماته وهيكله .

المبحث الأول : تقديم الخبر شبه الجملة على المبتدأ النكرة .

المبحث الثاني : تقديم الخبر المفرد على المبتدأ المعرفة .

المبحث الثالث : تقديم الخبر شبه الجملة على المبتدأ المعرفة .

المبحث الرابع : تقديم خبر كان على اسمها .

الخاتمة : ذكرت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

وبعد ، فإن دراسة الجملة العربية تقوم على علاقة الإسناد بين ركنيها : المسند والمسند إليه ، يقول سيبويه : (ما لا يغني واحد منهما عن الآخر ، ولا يجد المتكلم عنه بدًّا ، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه ، وهو قولك : عبد الله أخوك ، وهذا أخوك ، ومثل ذلك : يذهب عبد الله ، فلابد للفعل من الاسم ، كما لم يكن للاسم الأول بدّ من الآخر في الابتداء) " سيبويه ، 1 : 23 ". وعرّف الجرجاني الإسناد بقوله :(ضمّ إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التامة ، أي على وجه يحسن السكوت عليه) " الجرجاني ، 2005 ، 27 " ، وذكر النحاة أنّ ذلك لا يكون إلاّ في اسمين أو في فعل واسم ." الرضي ، 1996م ، 1 : 31 " ولمّا كانت الفائدة لا تحصل بكلمة واحدة كان لابد من مسند ومسند إليه ، والأصل في الجملة الاسمية تقديم المبتدأ على الخبر لأنّه محكوم عليه ." الأزهري ، 1 : 580 "

إنّ الترتيب بين أجزاء الكلام خاضع لقصد المتكلّم ، فهو يورد ألفاظه مرتّبة وفق ترتيب معانيها في نفسه ، مراعيا في ذلك معاني النحو وقوانينه وأصوله ." الجرجاني ، 2005 م 69 ـ 70 "

وهذا هو الشأن مع المبتدأ والخبر إذا استويا في التعريف والتنكير ، فإنّ النظام في اللغة (يلزم أن يتقدّم المبتدأ أو يتأخّر الخبر إذا استوى الطرفان في التعريف أو التنكير ولم تكن هناك قرينة لفظية أو حالية معنوية تبين أحدهما من الآخر ، ويمثّل النحويون لاستواء الطرفين في التعريف بهذا المثال : زيد أخوك ، ولاستواء الطرفين في التعريف بهذا المثال :أفضل منك أفضل منّي) " حماسة ، 2003 م 178 "

إنّ التقديم والتأخير يعتمد على فكرة البنية الرئيسة للجملة ، فهو يرتبط بها ارتباطا محكما ، ولا يمكن الحكم على عنصر ما في الجملة بأنّه مقدّم أو مؤخّر إلاّ إذا كانت البنية الأساسية تحكم بوضع هذا العنصر أو ذاك في موضع معيّن أو رتبة معيّنة ." حماسة ، 2003 ، 242 "

وما يحسن ذكره في هذا الشأن أن عبد القاهر الجرجاني اعتنى بدراسة المعنى إلى حدّ كبير ، إذ يرى بوجوب اختلاف المعنى بحسب التقديم والتأخير ، وأنّ المعنى هو الذي يوجب ترتيبا معيّنا بين أجزاء الكلام ، فهو يؤكّد على أنّ (الاختصاص في الترتيب يقع في الألفاظ مرتّبا على المعاني المرتّبة في النفس ، المنتظمة فيها على قضية العقل ،ولا يتصوّر في الألفاظ وجوب تقديم وتأخير وتخصص في ترتيب وتنزيل) " الجرجاني ، 2005 ، 5 "

وكذا يرى الجرجاني بأنه يجب ألاّ يظنّ أنّ المعرفتين إذا وقعتا مبتدأ وخبرًا لم يختلّ المعنى فيهما بالتقديم والتأخير، ويرى أيضا بأنّ المبتدأ لم يكن مبتدأ لأنّه منطوق به أوّلا ، ولا كان الخبر خبرًا لأنّه مذكور بعد المبتدأ ، بل كان المبتدأ مبتدأ لأنّه مسند إليه ومثبت له المعنى ، والخبر خبرًا لأنّه مسند ومثبت به المعنى ." الجرجاني ، 2005 ، 132 . 133 "

إنّ التقديم والتأخير بين المبتدأ والخبر بل في الكلم العربي كله لم يكن ليقع عبثا لاسيما في فصيحه ، بل كان يؤتى به لأغراض معنوية وأسرار بلاغية لم تكن لتؤدى إلاّ بالوجه الذي رتّب عليه الكلام ، فقدّم فيه ما حقّه التأخير ، وأخّر فيه ما حقّه التقديم .

وقد اعتنى بعض علماء العربية بأغراض التقديم والتأخير ولا يتسع البحث لذكرها لتجنب الإطالة ، ويكفينا هنا الإشارة إلى ما ذكره سيبويه في باب الفاعل الذي يتعدّاه فعله إلى المفعول بقوله : (كأنّهم إنّما يقدّمون الذي بيانه أهمّ لهم وهم ببيانه أعنى ، وإنْ كانا جميعا يهمّانهم ويعنيانهم) " سيبويه ، 1 : 34 " ، لكنّنا نرى الجرجاني يشدّد في الأمر ويشير إلى أنّه لا يكفي أنْ يقال أنّ التقديم أو التأخير قدّم للعناية والأهمية ـ كما ذكر سيبويه ـ بل يجب أنْ يذكر من أين جاءت هذه الأهمية ؟ وبم كانت ؟ " الجرجاني ، 2005 ، 87".

وذكر ابن جنّي أنّه : (لا تنقض مرتبة إلاّ لأمر حادث) " ابن جنّي ، 1952 ، 1 : 300 " وزاد الأمر توضيحا وبيانا بقوله : (أنّه ليس شيء يخرج عن بابه إلى غيره إلاّ لأمر قد كان وهو على بابه ملاحظا له ، وعلى صدد من الهجوم عليه) " ابن جنّي ، 1952 ، 2 : 464 " ، وخلاصة القول كما ذكر الجرجاني : (أنّه لا يكون ترتيب في شيء حتّى يكون هناك قصد إلى صورة وصنعة ، إنْ لم يقدّم فيه ما قدّم ولم يؤخّر فيه ما أخّر ، وبديء بالذي ثنّي به ، أو ثنّي بالذي ثلّث به لم تحصل لك تلك الصورة وتلك الصنعة) " الجرجاني ، 2005 ، 240 "

المبحث الأول: (تقديم الخبر شبه الجملة على المبتدأ النكرة)

الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة ، ولا يجوز الابتداء بالنكرة لأنّها مجهولة ، والحكم على المجهول لا يفيد ؛ لأنّ الغرض من الخبر إفادة المخاطب بما لم يعلمه ، فيبدأ المتكلم بما يعرفه المخاطب ، ثم يخبره بما يجهله ، فتتمّ بالخبر الفائدة ، وقد يبدأ بالنكرة إذا حصلت منها الفائدة ، وتحصل الفائدة بأمور كثيرة ذكرها النحاة ليس من مهام البحث

تفصيلها والخوض فيها وإلا خرج البحث إلى وجهة غير مرضية ، وما يهمّنا من تلك الأمور وتلك المسوّغات كون الخبر ظرفا أو جارًا ومجرورًا والمبتدأ نكرة ليس لها مسوّغ إلا تقدّم الظرف أو الجار والمجرور، أو اشترك مع الجار والمجرور أو الظرف مسوّغ آخر للابتداء بالنكرة ،نحو : رجلٌ كريمٌ عندي ، وعندي رجلٌ كريمٌ ، وهنا يكون تقديم الخبر شبه الجملة غير واجب ، فيكون تقديمه لإفادة معنى خاص ، أو لغرض بلاغي ؛ لأنّ التقديم هنا راجع إلى ما يقتضيه المقام من نحو التخصيص والاهتمام والملكية وغير ذلك من الأغراض والدلالات .

وقد جاء الخبر شبه الجملة مقدَّمًا على المبتدأ النكرة سواء أكان تقديمه واجبًا أم جائزًا في مواضع كثيرة من سور (البقرة ـ وآل عمران ـ والنساء) محل الدراسة ، ومن تلك المواضع ما يأتي :

1 ـ قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ البقرة من الآية 7

الواو: استئنافية ، والجار والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدّم ، و"غشاوة ": مبتدأ مؤخّر مرفوع وسوّغ الابتداء بها كون الخبر جارًا ومجرورًا مختصًّا مقدّما على المبتدأ ، والمراد بالاختصاص أن يكون كلٌّ من المجرور والمضاف إليه في الظرف الواقعان خبرًا صالحًا بنفسه أن يكون مبتدأ (ابن هشام ، 1 : 210) .

وذكر السكّاكي أنّ تنكير "غشاوة " لتهويل أمرها .(السكاكي ، 1 : 84) .

2 ـ قوله تعالى : ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ البقرة من الآية 19

الجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدّم ، و "ظلمات" : مبتدأ مؤخّر ، وسوَّغ الابتداء بالنكرة في هذه الآية كون الخبر جارًّا ومجرورًّا ، واشترك مع الجارّ والمجرور مسوّغ آخر هو اعتماد النكرة على موصوف (الزمخشري ، 1977 ، 1 : 49)

3 ـ قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ البقرة من الآية 25

الواو : حرف عطف ،" لهم ": جارٌّ ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدَّم ، " فيها ": جارٌّ ومجرور متعلّقان بمحذوف حال ،" أزواج ": مبتدأ مؤخّر ، "مطهَّرة ": نعت لـ "أزواج " والمبتدأ نكرة موصوفة ، فتقديم الخبر شبه الجملة في هذا الموضع ليس واجبًا ، فيكون التقديم لغرض الاختصاص ولتعجيل البشرى لهم وإدخال السرور عليهم .

4 ـ قوله تعالى : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾النساء من الآية 7

" للرجال ": جارٌّ ومجرورٌ متعلقان بمحذوف خبر مقدَّم ، و" نصيب ": مبتدأ مؤخَّر ، و "ممّا " : جارّ ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ " نصيب " وجملة "ترك

الوالدان" : صلة الموصول لا محل لها من الإعراب ، و "الأقربون" : معطوف على " الوالدان " وقوله :"للرجال" : كلام مستأنف مسبوق لتفنيد ما كانت عليه الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار (الدرويش ، 2003 ، 1 : 620)

المبحث الثاني : (تقديم الخبر المفرد على المبتدأ المعرفة)

الأصل أن يتقدّم المبتدأ على الخبر نحو : زيدٌ قائمٌ ، وأخوك نائم ، و محمدٌ مسافرٌ ، فإذا قلنا : قائمٌ زيدٌ ، ونائمٌ أخوك ، ومسافرٌ محمدٌ فإنما يكون ذلك لغرض من أغراض تقديم الخبر، ومنها: التخصيص والافتخار والتفاؤل أو التشاؤم ، فالتخصيص كقولنا : قائمٌ زيدٌ ، فقد أثبت القيام لزيد دون غيره ، أمّا قولنا : زيدٌ قائمٌ ، فأنت بالخيار في إثبات القيام له أو نفيه عنه ، بأن تقول : ضارب أو جالس أو غير ذلك ، أمّا الافتخار فكقولهم : تميميٌّ أنا ، فثمة فرق بين قولهم: أنا تميميٌّ ، وتميميٌّ أنا ، فالأولى إخبار عن نفسه ، وأمّا الثانية فبالفخر بنفسه ، أمّا التفاؤل والتشاؤم فقولك : ناجحٌ زيدٌ ، ومقتولٌ عمرو .

وما يعنينا بعد هذا التقديم الموجز هو مجيء تقديم الخبر المفرد على المبتدأ المعرفة في مواضع من سور البقرة وآل عمران والنساء ـ محل الدراسة ـ منها :

1 ـ قوله تعالى : ﴿ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ﴾ البقرة من الآية 206

الفاء : الفصيحة ،" حسبه ": خبر مقدّم ،" جهنّم " : خبر المبتدأ ، والأوْلى أنْ يعرب "حسبه " خبرا مقدّمًا، و " جهنّم " مبتدأ مؤخّر ؛ لأنّ " جهنّم " اسم علم ، و "حسب " اسم يستعمل وصفا توصف به النكرة ، وبذا فالاسم العلم هو المبتدأ وما يستعمل وصفا هو الخبر ، وقُدِّم الخبر استعطافا لما حلّ بمن أخذتهم العزّة بالإثم ، كما تقول للرجل : كفاك ما حلّ بك ، إذا استعظمت وعظّمت عليه ما حلّ به . (أبو حيّان ، 1992 ، 2 : 333).

2 ـ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاء عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ البقرة 6

" سواء ": اسم بمعنى الاستواء أُجري مجرى المصادر ، وفي إعرابه أوجه عدة ، منها أن "سواء ": خبر مقدّم ، و"عليهم ": جار ومجرور متعلّق بـ " سواء " ؛ لأنّه بمعنى مستوٍ ، وجملة " أأنذرتهم أم لم تنذرهم ": في محل رفع خبر المبتدأ مؤخّر ، والمعنى : إنذارك وعدمه سواء عليهم ، وقُدِّم الخبر للتيئيس من إيمانهم بالله ، قال القرطبي : كلٌّ من سبق في علم الله أنّه يموت على كفره لا طمع له في الإيمان .(القرطبي ، 2007 ، 1 : 191)

3 ـ قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ آل عمران من الآية 173

" حسبنا ": خبر مقدم ، وقيل " حسب " مبتدأ واسم الجلالة " الله " خبره ، والأوْلى عندي أن يعرب " حسب " خبرا مقدّما ؛ لأنّه وصفٌ توصف به النكرة ، تقول : هذا رجلٌ حسبك ، أي : كافيك ، واسم الجلالة " الله " مبتدأ مؤخّر لأنّه أعرف المعارف وهو الموصوف بالكافي ، وقُدِّم الخبر " حسب " للدلالة على المبالغة في التوكّل على الله عزّ وجلّ . (الزمخشري ،1977 ، 1 : 440 وما بعدها ، و أبو حيّان ، 1992 ، 3 : 437).

المبحث الثالث : (تقديم الخبر شبه الجملة على المبتدأ المعرفة)

الأصل أنَّ المبتدأ إذا كان نكرة ليس له مسوّغ في الابتداء وجب تقديم الخبر (الظرف أو الجارّ والمجرور) فتقول : في الدار رجلٌ ، فتقديم الخبر هنا واجب ، ولا يُسأَل عن الغرض من هذا التقديم ، وإنّما يُسأل عن سبب تقديمه إذا كان المبتدأ معرفة ، أو نكرة صالحة للابتداء بها ، نحو : في الدار زيدٌ ، فالطبيعي أنْ تقول : زيدٌ في الدار ، فهذا إخبار أوَّلِي ، والمخاطب خالي الذهن، فإذا قلت : في الدار زيدٌ ، كان التقديم لغرض زائد عن المعنى الأوَّلِي ، ولتقديم الظرف في هذه الحالة أغراض كثيرة ، أهمها : الاختصاص والحصر . (السامرائي ، 2007 ، 1، 140:) وقد جاء تقديم الخبر شبه الجملة على المبتدأ المعرفة في مواضع عدة من السور القرآنية محل الدراسة ، وفيما يلي عرض لبعض تلك المواضع :

1 ـ قوله تعالى : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾البقرة من الآية 112

الفاء رابطة ، " له " : الجار والمجرور خبر مقدّم ، و " أجره " ، مبتدأ مؤخّر ، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط ، وقُدِّم الخبر للاستحقاق أو الاختصاص ، فالضمير في قوله : " فله " عائد على " مَن أسلم وجهه لله وهو محسن " ، فالمتصف بهذا الوصف هو المستحق للأجر والمختص به دون غيره .

2 ـ قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّه الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَهِ ﴾البقرة من الآية 115

الواو عاطفة ، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدّم ، و" المشرق ": مبتدأ مؤخّر ، و" المغرب " : معطوف على المشرق ، وقدّم الخبر في هذه الآية لإفادة الملك ، أي إنّ المشرق والمغرب بيد الله يصرّفهما ، فأينما تولوا فثمّ وجه الله ، فالمشرق موضع الشروق والمغرب موضع الغروب ، قال القرطبي : أي هما له ملك وما بينهما من الجهات

بالإيجاد والاختراع (القرطبي ، 2007 ، 2 :77) وقُدّم الجارّ والمجرور ليدلّ على اختصاص التصرّف والملك ، أي : بلاد المشرق والمغرب والأرض كلّها لله هو مالكها ومتولّيها .(الزمخشري ، 1977 ، 1 : 122) وبذا نعلم أن ذلك لا يعني تحديد جهة الشرق أو جهة الغرب فحسب ، ولكنّه يتعدّاها إلى كلّ الجهات شرقها وغربها ، شمالها وجنوبها ، فالآية ليس معناها حصر الملكية لهاتين الجهتين ولكنّه ما يعرف بالاختصاص بالتقديم ، كما تقول : بالقلم كتبت ، وبالسيارة أتيت ، أي أنّ الكتابة خصوص القلم ، والاتيان خصوص السيارة ، وهذا ما يعرف بالاختصاص ، ولذلك فإنّ معنى الآية أنّ الملكية لله تعالى لا يشاركه فيها أحد . (الشعراوي ،1997 ، 1 : 542 ، 543) .

ولذا علمنا أنّ تقديم الخبر في الآية جائز ، ولكن قدم للغرض الذي سبق ذكره ، فلو قال : المشرق والمغرب لله لأفاد أنهما له دون نفيه عن غيره ، فتقديم الظرف أفاد حصره عليه واختصاصه به دون غيره . (ابن هشام ، 2009 ، 1 : 100) .

3 ـ قوله تعالى : ﴿ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ البقرة من الآية 116

" بل " : حرف عطف وإضراب ، " له ": جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدم ،" ما ": اسم موصول مبني في محل رفع مبتدأ مؤخر ، " في السموات والأرض " : الجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف صلة الموصول ، وقدّم الخبر " له " لإفادة الملك ، أي أنّ الله تعالى خالق ما في السموات وما في الأرض ومالكهم ، وجاء الاهتمام بتقديم معنى الملكية في قوله : " له " ردًّا على من زعموا أنّ لله ولدا ، تكذيبا لهم بقوله : بل له ما في السموات والأرض ملكا وخلقا ، وقيل أنّ اللام في " له " كالتي في قولك : لزيد ضربٌ ، تفيد نسبة الأثر إلى المؤثر ، وقيل للاختصاص بأي وجه كان ، وقال الألوسي : وهو الأظهر والمعنى : ليس الأمر كما افتروا بل هو خالق جميع الموجودات التي من جملتها ما زعموه ولدًا ، والخالق لكل موجود لا حاجة له إلى الولد ، إذ هو يوجِد ما يشاء مُنَزَّه عن الاحتياج إلى التوالد .(الألوسي ، 1415 هـ ، 1 : 480)

4 ـ قوله تعالى : ﴿ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ ﴾ آل عمران من الآية 28

الواو استئنافية ، والجار والمجرور " إلى الله " متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، و" المصير " مبتدأ مؤخر، وفي تقديم الخبر إشعار بالتهديد والوعيد؛ لأن في صدر الآية نهى الله المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ولمّا نهاهم الله تعالى عن اتخاذ

الكافرين أولياء حذرهم من مخالفته بموالاة أعدائه قال : (وإلى الله المصير) أي : صيرورتكم ورجوعكم ، فيجازيكم إنْ ارتكبتم موالاتهم بعد النهي وفي ذلك تهديد ووعيد شديد .

5 ـ قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّه الثُّلُثُ ﴾ النساء من الآية 11

الفاء رابطة لجواب الشرط ، و" لأمّه " : جار ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدم، و" الثلث" : مبتدأ مؤخر ، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط ، وقدّم الخبر شبه الجملة للاستحقاق والتخصيص ؛ لأن الآية مسوقة في ذكر أحكام الميراث وتحديد أنصباء الورثة ، فكان التخصيص مناسبا لدفع النزاع والتأكيد على تعيين المستحق للغرض المذكور ، وهذا ظاهر في سياق الآية في كل المواضع التي ذكر فيها النصيب وهو قوله تعالى : (فلهن ثلثا ما ترك) وقوله تعالى : (فلها النصف) وقوله عز وجل : (ولأبويه لكل واحد منهما السدس) وقوله تعالى : (فلأمه السدس) فكل ذلك ورد في آية واحدة ، فكان تقديم الخبر في كل منها للتخصيص والاستحقاق ،وأنّ كلّ وارث مستحق لما خصّ به لا ينازعه فيه أحد .

المبحث الرابع : (تقديم خبر كان على اسمها)

تَرْفَعُ كَانَ الْمُبْتَدَا اسْمًا وَالْخَبَرْ ××××× تَنْصِبهُ كَكَانَ سَيِّدًا عُمَرْ

كان فعل ماض ناسخ ناقص ترفع المبتدأ ويسمى اسمها ، وتنصب الخبر ويسمى خبرها ، والأصل في هذا الباب أنْ تأتي بالفعل الناقص (كان وأخواتها) فاسمه فخبره ، لكن يجوز أنْ يتوسط الخبر بين كان واسمها (السامرائي ، 2007 ، 1 : 224).

ويقول سيبويه : (وإن شئت قلت : كان أخاك عبدُ الله ، فقدّمت وأخّرت كما فعلت ذلك في ضرب ؛ لأنّه فعل مثله) الكتاب ، سيبويه ، 1 : 45 .

إنّ تقديم خبر كان على اسمها : واجب أو ممتنع أو جائز ، وكلّ ذلك بسبب يقتضيه المقام كالعناية والاهتمام بتقديمه ، وسيتضح ذلك عند سوق بعض الأمثلة من السور القرآنية محل الدراسة .

وقد جاء تقديم خبر كان على اسمها في مواضع عدة في سورة البقرة وآل عمران والنساء ، وفيما يلي بيانها :

1 ـ قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ ﴾ البقرة ،114

" أولئك " : اسم إشارة مبني في محل رفع مبتدأ ، " ما " : نافية ، " كان " : فعل ماض ناقص ناسخ ، " لهم " : جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، " أن يدخلوها ":

مصدر مؤول في محل رفع اسم كان المؤخر ، أي : ما كان لهم الدخول ، والجملة المنفية في محل رفع خبر عن أولئك ، وقُدِّم خبر كان على اسمها للاستحقاق ؛ لأنّ اللام في (لهم) تفيد الاستحقاق ، أي : ما كان يحق لهم الدخول في حالة إلاّ في حالة الخوف ، فهم حقيقون بها .(بن عاشور ، 1984 ، 1 : 681).

2 ـ قوله تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ البقرة ، 265

" له " : جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، " جنة " : اسم تكون مؤخّر ، وجملة " أن تكون له جنة " : مصدر مؤول في محل نصب مفعول به للفعل " يود " ، وقدّم خبر كان على اسمها للاختصاص ؛ لأنّه خصّ هذه الجنة بأنْ تكون لهم ، لأنّ شأن الجنّة أن تكون خاصة بملك واحد معين . (بن عاشور ، 1984 ، 15 : 208) .

3 ـ قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ آل عمران ، من الآية 79

" ما " : نافية ، " كان " : فعل ماض ناقص ناسخ ، " لبشر" : جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وأن وما في حيزها : مصدر مؤول في محل رفع اسم كان المؤخّر، وقدّم خبر كان على اسمها لإبطال ما كان يزعمه أهل الكتاب من أنّ عيسى ـ عليه السلام ـ كان يدّعي الإلاهية ، قال الرازي : (اعلم أنّه تعالى لمّا بين أنّ عادة علماء أهل الكتاب التحريف والتبديل أتبعه بما يدلّ على أنّ من جملة ما حرّفوه ما زعموا أنّ عيسى ـ عليه السلام ـ كان يدّعي الإلاهية ، وأنّه كان يأمر قومه بعبادته ، فلهذا قال : ما كان لبشر ...) " الرازي ، 1420 هـ ، 8 : 96 " .

فاللام في قوله تعالى : (لبشر) للاستحقاق ، قال الشيخ الطاهر بن عاشور : (ما كان لبشر نفي لاستحقاق أحد لذلك القول ، واللام فيه للاستحقاق ، وأصل هذا التركيب في الكلام : ما كان فلان فاعلا كذا ، فلما أريدت المبالغة في النفي عدل عن نفي الفعل إلى نفي المصدر الدال على الجنس ، وجعل نفي الجنس عن الشخص بواسطة نفي الاستحقاق ، إذ لا طريقة لحمل اسم ذات على اسم ذات إلاّ بواسطة الحروف ، فصار التركيب : ما كان له أنْ يفعل ، ويقال أيضا : ليس له أنْ يفعل) " بن عاشور ، 1984 ، 3 : 293 " .

4 ـ قوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بَالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران ، 104 .

" منكم " : جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدّم ، " أمة " : اسم تكن مؤخر ، وجملة " يدعون إلى الخير " في محل رفع صفة لأمّة ، ويجوز أنْ تكون هي الخبر ، " منكم " : إما متعلّق بالفعل الناقص أو متعلّق بمحذوف حال ، وعلى القول بأنّ " منكم " متعلّق بمحذوف خبر مقدّم هو المراد هنا ، ويكون تقديم خبر كان على اسمها في هذه الحال للدلالة على التبعيض ، ولتخصّ المخاطبين بأنْ يكونوا من أمّة محمّد ـ صلّى الله عليه وسلم ـ من دون سائر الأمم ، أمّا دلالة "مِن" على التبعيض فلأنّ الأمر موجّه إلى بعض الأمّة وهم الدعاة ، والدعاة يجب أنْ يكونوا علماء بما يدعون إليه ، وليس كلّ النّاس علماء ، وقيل : " مِن " لبيان الجنس ، والمعنى : لتكونوا كلّكم كذلك ، قال القرطبي إن : (القول الأوّل أصحّ ؛ فإنّه يدلّ على أنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فرض على الكفاية) " القرطبي ، 2007 ، 2 : 522 "

الخاتمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأوّلين والآخرين ، المبعوث رحمة للعالمين ، هاديا ومبشرا ونذيرا، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه الغر الميامين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

ففي ختام هذا البحث المتواضع الذي أرجو من الله عزّ وجلّ أنْ ينفع به وإكمالا للفائدة المرجوّة أذكر بعض ما خلص إليه البحث من نتائج :

1 ـ أنّ التقديم والتأخير في الجملة الاسمية ومتعلقاتها جاء كثيرا في سور البقرة وآل عمران والنساء محل الدراسة في هذا البحث .

2 ـ أنّ ما جاء من تقديم وتأخير في السور القرآنية ـ محل الدراسة ـ كان لأغراض بلاغية كالاستحقاق والاهتمام والتخصيص والملك وغير ذلك من النكت البلاغية .

3 ـ أنّ جلّ ما أورده النحاة القدامى والمحدثون من شواهد على التقديم والتأخير في الجملة الاسمية ومتعلقاتها كان من القرآن الكريم وفي الوقت نفسه لم يذهبوا بعيدا عما أورده المفسرون من أغراض بلاغية تخص التقديم والتأخير محل الدراسة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

.. القرآن الكريم برواية قالون عن نافع المدني

1 ـ ارتشاف الضرب من لسان العرب ، أبو حيان الأندلسي ، تحقيق : رجب عثمان ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، 1998 م .

2 ـ الأصول في النحو ، ابن السرّاج ، تحقيق : عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة الرابعة 1999 م .

3 ـ إعراب القرآن الكريم وبيانه ، الدرويش ، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع ، دار ابن كثير ،دمشق ـ بيروت ، الطبعة التاسعة 2003 م .

4 ـ أمالي ابن الشجري ، تحقيق ودراسة : محمود الطناحي ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر ، الطبعة الأولى ، 1992 م .

5 ت الإنصاف في مسائل الخلاف ، الأنباري ، ومعه كتاب الانتصاف ، محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر .

6 . البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان ، طبعة جديدة بعناية الشيخ زهير جعيد ، دار الفكر ، بيروت ـ لبنان ، 1992 م .

7 ـ البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت 1988 م .

8 ـ بناء الجملة العربية ، محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة 2003 م .

9 ـ التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1984 م .

10 ـ التبيان في إعراب القرآن ، العكبري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، 2005 م .

11 . تفسير الشعراوي ، مطابع أخبار اليوم ، 1997 م .

12 ـ توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ، المرادي ، شرح وتحقيق : عبد الرحمن سليمان ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2001 م .

13 ـ الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، راجعه وضبطه وعلق عليه : محمد الحفناوي ، وخرّج أحاديثه : محمود عثمان ، دار الحديث ، القاهرة سنة الطبع 1428 هـ / 2007 م .

14 ـ خزانة الأدب ، البغدادي ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه : محمد طريفي ، إشراف : أميل بديع يعقوب ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة الأولى 1998 م .

15 ـ الخصائص ، ابن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية 1952 م .

16 ـ دلائل الإعجاز ، الجرجاني ، شرحه وعلق عليه ووضع فهارسه : محمد التونجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة الأولى 2005 م .
17 ـ دليل السالك ، ابن هشام .
18 ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الألوسي ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى 1415 هـ .
19 ـ شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث ، مطابع المختار الإسلامية ، الطبع العشرون ، 1980 م .
20 ـ شرح التسهيل ، ابن مالك ، تحقيق : عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون ، هجر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى 1990 م .
21 ـ شرح التصريح على التوضيح ، الأزهري ، وبهامشه حاشية يس العليمي ، راجعه إسماعيل عبد الجواد عبد الغني ، تحقيق : أحمد السيد أحمد ، المكتبة التوفيقية .
22 ـ شرح الرضي على الكافية ، تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، الطبعة الثانية 1996 م .
23 ـ الصاحبي في فقه اللغة ، أحمد بن فارس .
24 ـ ضياء السالك ، ابن هشام .
25 ـ الكشاف ، الزمخشري ، دار الفكر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى 1977 م .
26 ـ الكتاب ، سيبويه ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى .
27 ـ معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج ،
28 ـ معاني القرآن ، الفرّاء ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .
29 ـ معاني النحو ، فاضل السامرائي ، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر ، دار إحياء التراث ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة الأولى 2007 م .
30 ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الشام للتراث ، بيروت ـ لبنان .
31 ـ مفتاح العلوم ، السكاكي .
32 ـ مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة 1420هـ .
33 ـ المقتضب ، المبرد ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت .
34 ـ همع الهوامع ، السيوطي ، تحقيق ، عبد السلام محمد هارون ، وعبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية 1987 م .